وطيب النفس فما أحراه ان يشرّف بنزوله بينهم من حيث اقوال الحكمة وكلمات الرشاد فان الانبياء العظام قد كانوا اول من ادرك ان شبوع الغنى من المحال ولذلك تعمدوا الفقر تعمداً وجعلوا الغنى من مكروهات الله حتى ألانوا حدة الخطوب ونشروا العزاء في نفس كل فقير . ونظن انه لولا ما اودعوه نفوس الناس من هذا الأثر الحميد لما اغنت زواجرهم شيئاً ولكان التحصيل بالقوة حتى لا يكون الا الفوضى

على ان كارنيجي بما ظهر منه قد دل على انه اجل من سخي واكبر قدراً من كريم فلقد اشار اشارة واضحة الى ما تنطوي عليه نفسه من رقة الشعور ولطف الحس والادراك فانه ذكر ان اشعار شكسبير لو فارقته لكان شقياً ولم تغن امواله شيئاً وانه لولا موسيقي وبتر لعاش مكتئباً لا يجد ما يسره السرور الحقيقي . ووالله لقد صدق هذا القائل العظيم فان الله الذي اودع شكسبير تلك الحكم الرائعة والاقوال السديدة واعانه على ايداعها بما اعان من قوالب اللفظ الباهر والكلام المحكمة لم يودع كل هذا عبثاً ولا اراد به ان يكون شكسبير وحده مسروراً بما وهب بل هو قد اراد بذلك مسرة من يجيء من بعده وفكاهة من يرزق فهم قوله وكذلك قد اراد في وبتر وامثاله من رجال الادب والموسيقى الذين يتصلون الى اعماق النفوس فيسرونها وترسل اقولهم روائد في طلب اللهو فتستدنيه . ولقد كان عندنا من يلقى على سمعه الشعر الجيد فيعقد له خناصره طرباً له وابتهاجاً به حتى لا يجد المسرة بمجد ملكه الطويل معادلاً لمسرته بما قرأ من كلام او سمع من لحن . بل نحن لا نزال الى الآن يطربنا الغناء الحسن والموسيقى المتقنة ويؤنسنا القول الجيد والكلام الفصيح حتى نشعر بالسعادة فيما نقرأ ونسمع

ولقد كانت الموسيقى في بلادنا هذه من اجل اسباب السعادة والمسرة لبنيها فكنا نرى الحمال المجهود او العامل المكدود يجلس لاستماع الموسيقى في آخر نهاره فينسى بها كل شقاء يومه ويذهل عن جميع متاعب غده حتى نرى السعادة الحقيقية مرسومة على اسرة وجهه والمسرة بادية من كل اشارة من اشاراته . ولقد كان ذلك كثيراً ولا يزال بعضه الى الان وهو ما تمتاز به مصر عن سائر الامصار واما ما ذكره كارنيجي عن الاداب والشعر فلا يوجد له بيننا الان الا ادنى الآثار واذا كان لا يوجد بيننا من يشعر بما هو الشعر فلمن تنظم الاشعار واذا كان من الشعر سعادة كما قالوا ومن الفقر شقاء كما نقول فما اشد شقاءنا اذ لا وزن شعر عندنا ولا وزن دينار

لطائف شعرية

وردنا من حضرة الشاعر الفاضل احمد افندي الكاشف هذه القصيدة بشأن ما دار من القول بين حضرة الشاعرين الفاضلين احمد افندي محرم وامين افندي الحداد فاثرنا اثباتها في هذا الباب وهي :

يا شاعرين تساقيا الشعرا ... وتهاديا الآراء والفكرا
وتجادلا في الخمر واختلفا ... في شربها ام تركها احرى
هذا يحسنها فقام بها ... يغريه وذاك يقدم العذرا
صيرتما القراء حائرة ... افهامهم لم يملكوا صبرا

وتساءلوا والشك يغلبهم النهي نتبعه ام الامرا
حتى اذا اختلفت طرائقهم بعثوا اليَّ بكتبهم تترى
ماذا ترى فاحكم لتهدينا فلانت فينا الحاذق الادرى

* * *

الخمر تمتحن الطباع بها فتبين منها الحلو والمرا
تزداد اخلاق الاغر بها لطفاً وتخزي الجاهل الغرا
تشقي وتسعد فهي مشبهة في حكمها السلطان والدهرا
ما كل مشغوف بها بطل يعصي الهوى ويغالب السكرا
هذا يبيع لها هدايته ويبيح ذاك البيض والصفرا (١)
ويصون هذا عن غوائلها شرف المقام وعرضه الحرا

*

يا ناهياً عنها غدرت بها ما كان مثلك يعرف الغدرا
انسيت ليلتنا وقد سدلت بالرمل هند دوننا السترا
والشوق يجذبنا ويدفعنا وقلوبنا بيمينه اسرى
حتى استعنا بالرحيق على ليل اخاف ظلامه الفجرا
فاستنهضتنا نشوة اخذت بين الجوانح تضرم الجمرا
وقد استهنا عند ذاك بان نرد الحتوف ونركب الوعرا
هجنا بلا سيف نذود به عنا الوشاة ونأمن الشرا
فتعرض الحراس واحتدموا لما رأونا نطرق الخدرا

(١) النقود

ماذا جرى هل ارهبوا احداً منا فادبر منهم ذعرا
صحنا بهم فتفرقوا جزعاً وتخيلونا عسكرا مجرا
بتنا نطوف بقصرها شغفاً نصف الغرام ونشتكي الهجرا
حتى اطلت وهي قائلة من في الدياجي ينشد الشعرا
نحن اللذان ملكت رقهما بيد الجمال فقاسيا الضرا
نحن اللذان جعلت دمعهما يجري على خديهما نهرا
فترفقت بعد الجفاء بنا لما رأتنا نعلن السرا
ومشت الينا في ترنحها تسبي الغزال وتخجل البدرا
واستقبلتنا وهي باسمة تلقي السلام نخاله سحرا
بتنا كما يهوى العفاف فلم نطع المدام ونرتكب وزرا
لم نجن غير حديثها ثمرا يروي ويشفي المهجة الحرى
واستحكمت بين القلوب عرى للحب يبقى عهدها العمرا
ولبثت مفتتناً بها كلفاً ونظمت في اوصافها الدرّا
وملكت مجداً بالبيان زكا بين البرية ذكره نشرا

* * *

لم تبت عن بنت الكروم اما اهدت اليك الرتبة الكبرى
لولا رياضتها لعقلك ما سميت رب الشعر والشعرى
فاجل الكؤوس وعاود السكرا ما دام عودك ناعماً نضرا
اني لاشربها وان جمعوا فيها العيوب واكثروا الزجرا
ويسرني اني اتهمت بها لا زلت منهماً بها مغرى

احمد الكاشف بالقرشية